كتاب سيرة احمد بن طولون

عود اليه وتصحيح فيه

طُبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ رئيس المجمع العلمي وقد مضت على نشره بضع سنين ولا تزال المجالس العلمية تتداول ذكره بالثناء والاعجاب . ولما علم الأستاذ الرئيس أني آخذ في مطالعته رغب اليّ أن اقلب النظر في بعض ما بقي من ألفاظه محتاجًا الى تصحيح وتقويم . فأجبت سؤله وكتبت هذه التصحيحات لتكون مضافةً الى ما حققه الأستاذ ورفاقه الفضلاء خدمة لآدابنا . ومآثر أجدادنا :

ص ٥٠ سطر ٩ قال المؤلف ما ملخصه ان (ابن شيخ) الشيباني تغلب على فلسطين وجعل الناس يشيعون انه طامع بالشام (وانه على ان يتغلب ايضًا على مصر) فقوله (على ان يتغلب) صوابه (مليء ان يتغلب) : ففي الأساس (فلان مليء بكذا أي مضطلع به) ومعنى مضطلع به قويّ قادر عليه . ومثله ما في ص ٥٨ سطر ١١ (ان ابن طولون على التغلب على مصر) صوابه (مليء بالتغلب) .

ص ٥١ سطر ١١ (فتبعها احمد بن طولون الخ) لا معنى لقوله (فتبعها) هنا ولا مرجع لضميره وصوابه (فتغنّمها احمد بن طولون) . والضمير يرجع الى الفرصة المفهومة من السياق اي ان احمد عدّ امر المعتمد لابن مدّبر بصرف المال له فرصة تغتنم من حيث يساعده ذلك على إعداد الرجال وشراء العبيد والسلاح وهو في حاجة الى كل هذا (راجع صفحة ٤٥ سطر ٦ وصفحة ١٣٨ سطر ٨) .

ص ٥٥ سطر ١٩ (وكان في قصر ابن طولون مجلس يُشرف منه يوم العرض فينفذ منه من يدخل الخ) قوله (فينفذ) صوابه (فينقد) اي ان الأمير كان يُشرف من مجلسه على الداخلين فينقدهم واحداً واحداً : ففي (الأساس) ما نصه (وهو ينقد بعينه الشيء والى الشيء : يديم النظر اليه باختلاس حتى لا يفطن له اهـ) فابن طولون كان لا يدع الداخل الى قصره من دون أن يختلس النظر اليه

ص ٧٦ سطر ١٠ (فنظر فاذا بفتقٍ ففُتح) صوابه فاذا بنفقٍ . والنفق السرب والحفير تحت الأرض ويسمى في اللغة الدارجة السرداب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص ٧٨ سطر ١٢ قصة الزبيدة مع الرشيد في تفضيله المأمون على ابنها الأمين واستدعائه لها في الليل فقدما : وهذا في ثياب المنادمة وذاك في لبوس المصادمة — هذه الحكاية يبعد أن تقع بين الرشيد وزبيدة ولا سيما قوله فيها (فسقى الرشيد الأمين بيده قدحًا) وانما القصة مروية عن معن بن زائدة وزوجته بشأن ابنها ويزيد ابن مزيد ابن أخي معن : راجع ترجمة يزيد هذا في ابن خلكان تجد القصة فيها منسوبة الى معن

ص ٩٤ سطر ١٥ (فلأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد آثر عندي وأحب الخ) صواب فأحمد يا أحمد . ينادي مخاطبه وهو أحمد بن طولون باسمه . وهذا كما نقول في لهجتنا الدارجة : كيف غفلت عن تصحيح هذه الكلمة يا أحمد ! ! . وإلاّ فان من يقطع رأسه ويلعب به الصبيان لا يتصور منه أن يحمد أحداً . اللهم الا اذا قُرئ (فأُحمد) بالبناء للمجهول كان له معنى وجيه

ص ٩٦ سطر ٥ (بانت في الحرب رُجلته وجزالته) رُجلته أي رجوليته . أما جزالته فصوابها عندي جرأته ، لأن معنى الجزالة في اللغة جودة الرأي يقال جزل الرجل جزالةً صار جيد الرأي . وقصة (سيما الطويل) الذي قُتل في حربه مع أحمد بن طولون تدل على ان (سيما) لم يكن جيد الرأي . فان احمد كان استرضاه فلم يرض وغامر فقتل . ومغامرته هذه تدل على جرأة قلب . لا جزالة رأي .

ص ١٠٥ سطر ٣ (تعاثر) صوابه (تعثر) يقال خرج يتعثر في أذياله . والخطأ في (تعاثر) وأمثالها كجمع بغل على أبغل (في صفحة ١١٦) مما خولف فيه استعمال اهل اللسان – هو في الغالب من اقلام النساخ : وقد يقال إن سياق القصة يقتضي ان يقال (تعاثر) اي أظهر من نفسه انه عثر على حدّ تناوم وتجاهل وتغافل . نعم ولكن ما ورد من ذلك يحفظ ولا يقاس عليه . واذا قرر مجمعنا الدمشقي جوازه بناءً على كثرة ما ورد منه كما فعل مجمعنا المصري في قياسية همزة (أفعل) في إفادة التعدية – اذا قرر أكون انا اول من وافق .

ص ١١٦ سطر ١٣ (ومعه ثلاثة ابغل تُقلّ محمله اليه) في هذه الجملة تصحيفان : الأول ان الناسخ او المصنف نفسه قال (أبغل) في جمع بغل وصوابه ابغال وهو جمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قلة : والثاني انه صحف (ثَقَل) فجعلها (نُقل) اي تحمل . ولا معنى لكون ثلاثة البغال تحمل محمله . والمحمل شبه المحفة والهودج . وكان سبق في القصة ان القادم كان راكباً بغلاً فارهاً . فصحة الجملة هكذا (ان معه ثلاثة ابغال ثقل محملة اليه) يعني ان من جملة تكريم ابن طولون للقادم كونه اصحبه بثلاثة أبغال للثقل خاصة محملة اليه . وثقل المسافر امتعته وحاجاته التي يثقل عليه حملها فتحمل على الدواب . يقال (جاء فلان في شارةٍ حسنة وثقل سَريّ)

ص ١٣٠ سطر ٧ (وكوز ماء وقدح نصفٍ) صوابه (وقدح نظيف) من النظافة . بدليل قوله بعده (وجعل بين يدي الجارية صينيةً فيها قدح لطيف وكوز ماء) . ولم اجدهم ذكروا انه يقال (قدح نصف) نعم قال القاموس (رجل نِصف بالكسر اي هو من اوساط الناس) واوساط الناس خيارهم . ونقلُ هذا المعنى الى الكأس فيه تكلف . كما ان وصف الكأس بأنه من اوساط الأقداح فيه تعسف

ص ١٣٢ سطر ١١ (وسلم اليّ خطي وحرقته) المراد بخطه خطه بمبلغ الدين (كمبيالة) ولا يناسب قوله (حرقته) قوله قبله انه أكل ورقة الخط . فصحة قوله حرقته ان يقال (وخرقته) بالخاء المعجمة فيكون المراد بأكل خطه انه مزق الكمبيالة بأسنانه

ص ١٣٨ سطر ٧ (ضيعة تردّ عليّ) صوابه تدرّ عليّ . يقال درّت الدنيا على أهلها كثر خيرها . ودرّ الخراج درّاً كثر نماؤه

ص ١٤١ سطر ١٢ (فقال له حدثنا في شيءٍ مما نحتاج اليه) لا معنى للتحديث هنا . ولعله محرف عن (مُدّنا) او عن (صرّفنا) : صرّفه في الأمر فوضه اليه . وأطلق يده فيه . وسياق القصة يناسب هذا : اذ يصبح المعنى عليه : أسعفنا من المال بقدر ما نحتاج اليه في اعداد ما يلزم من الطعام لمطبخ الأمير .

ص ١٤٢ سطر ١٣ (وافترس فيه خيراً) صوابه تفرّس فيه خيراً : اذا تعرّفه بالظن الصائب . ولم اجدهم يقولون افترس . ويحتمل ان يكون محرفاً عن (افترص) بمعنى انتهز فيه فرصة خير . والاول (اي تفرّس) اقعد واقوم .

ص ١٤٥ سطر ٩ (فقال : هي المائة الف من المائة الف التي اخذها من ابن مفضل) الأولى الترميج على قوله (من المائة الف) لعدم الحاجة اليها فيقال (هي المائة الف)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي اخذها) : لأن ابن طولون كان اخذ من ابن مفضل مائة الف فقط : ثمانين الف عين وعشرين الف ثمن امتعة (راجع صفحة ١٤٢)

ص ١٤٨ سطر ١ [فلما نزل [اي محبوب عن المنبر] أمر [اي الأمير ابن طولون] ان يؤخذ منه الغلام فأُخذ الخ] اقول لا معنى لأمر ابن طولون بأخذ الغلام من محبوب . فصواب [الغلام] ان يكون [الكتاب] اي الصحيفة التي كانت بيد محبوب على المنبر موهمًا انه يقرأ فيها وهي بيضاء نقية فتفطن الأمير بحدة ذهنه الى اضطراب محبوب فعرف ان في الأمر سراً فأول ما فعل انه اخذ منه الكتاب فور نزوله من على المنبر . وتتمة سياق القصة يؤيد ما قلنا

ص ١٥٢ سطر ٢ (فلما خليا ساعةً) صوابه [خلوا] بالواو اي صارا في خلوة لان الفعل واوي . ومثله قوله تعالى (دعوا الله ربهما) .

ص ١٥٢ سطر ١٠ (ليزول عن قلوبهم التعلق بما يجري منه) صواب [التعلق] ان يكون [القلق] اي اضطراب بالهم بما يجري من ابن طولون ولا يعرفون سببه .

ص ١٥٧ سطر ٦ [فأجعله مكانها واخذتها] صوابه [وآخذها] بصيغة المضارع اي آخذ الجرة فانتفع بنبيذها بعد ان اجعل الطوب مكانها .

ص ١٨٤ سطر ١١ دفع ابن طولون الي رقعةً وقال [سل عمن فيها فهم سجنة حبس القاضي] السجنة بالتحريك جمع ساجن كالسحرة جمع ساحر : فالسجنة اذن هم السجانون . والظاهر حذف كلمة [فهم] من الجملة لتقع [سجنة] مفعولاً به لقوله [سل] اي اسأل سجاني الحبس عمن هم مكتوبون في هذه الرقعة . واذا ابقينا كلمة [فهم] وارجعناها الى المسؤل عنهم كان الواجب ان يقال [سجنى] مكان [سجنة] . وسجنى كسكرى جمع سجين . كما يقال في جمعه ايضاً سُجناء . وهذا الوجه اقرب من الوجه الأول لدلالة السياق عليه .

ص ١٨٥ سطر ٤ ارسل ابن طولون الى سجونه من يُصلح بين المسجونين وخصومهم فذهبوا وعادوا فقالوا [وارضيناهم عنهم بمصالحة لواحد وان يدفع الى آخر ماله كله لتشدده او لاختلال حاله] فقوله [لواحد وان يدفع] محرف وصوابه [الا احدهم ابى يدفع] المال الى خصمه لشحه او لفقره كما يفهم ذلك من السياق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص ١٩٦ سطر ٢ قوله [ميز الذهب من شؤونه وغشه وادناسه] صواب [شؤونه] ان تكون [شوائبه] : ففي المصباح عن الجوهري (الشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار) . وفي الاساس [محص الذهب بالنار خلصه مما يشوبه]

ص ١٩٩ سطر ٢ قوله [فتخرج الينا الكفّ الناعمة المخضوبة نقشاً او تظاريف] كذا بالظاء المعجمة . وصوابه [تطاريف] بالمهملة : ففي القاموس [اختضبت المرأة تطاريف] اي اطراف اصابعها . ووقع مثل هذا التصحيف في عبارة [النجوم الزاهرة] وهو يروي الخبر نفسه فقد قال [قال لأحمد بن طولون وكيله في الصدقات : ربما امتدت الىّ الكفّ المطوقة والمعصم فيه السوار الخ] ولا يخفى ان الكف ليس له طوق يطوّق به فصوابه [الكف المطرفة] بالراء والفاء : ففي القاموس [طرّفت المرأة بنانها اذا خضبت أطراف اصابعها بالحنـاء] .

ص ١٩٩ سطر ٣ قوله في القصة السابقة ايضاً [والفراء والثوب الرطبة] لعل صوابه والثوب الرَيْطة . والريطة تعرب بدلاً او عطف بيان من الثوب . وهي كل ثوب رقيق لين يقال [خرجن يسحبن ريطات الخز والقصب] . كما في الاساس

ص ٢١٥ سطر ١٧ [فنصب له طرّةً] صوابه فصفف له طرةً : قال الحريري في مقاماته [فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرّته . وطرّ عقله بتصفيف طرته]

ص ٢١٩ سطر ١٥ [فكتب صاحب الخزانة بما سمعه تكلم] الذي يتولى رفع الأخبار الى احمد بن طولون هو صاحب الخبر لا صاحب الخزانة إذ هما وظيفتان فصواب العبارة هكذا : [فكتب صاحب الخبر أنه سمعه تكلم الخ]

ص ٢٣٩ سطر ٣ [قوله حتى تدمع معهم] تكرر هذا التركيب في الكتاب أي ان المؤلف يذكر فعل [تدمع] ولا يذكر كلمة [العين] معه وهو خلاف ما في المعاجم : لكن جاء في الأساس يقال [ذرفت عينه وجعل يستدمع] كذا من دون ذكر العين فما في هذا الكتاب من قوله تدمع او يدمع لعل اصله تستدمع او يستدمع . فحرفه النساخ .

ص ٢٥٥ سطر ١ [بالسيف أضرب والهامات تبتدر] صوابه [تنتثر]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص ٢٥٧ سطر ٩ [اضطرتني الطاعة وانجذتني الحاجة] صواب [انجذتني] ان يكون الجأتني . وكأنها في الاصل مكتوبة هكذا [الجئتني] فحرفت الى [انجذتني]

ص ٢٦٧ سطر ٧ [ومدّ طبارجي — أي قائد الجيش — الى برقة] لا معنى لقوله [مد] هنا فلعله محرف عن [غذّ] يقال أغذ الى محل كذا : اذا اسرع في السير اليه . والفعل اي فعل [أغذ] بالهمزة في اوله من باب [الأفعال] فلعل اسقاط الهمزة من صنيع الناسخ او من صنيع المؤلف نفسه : فانه (أي المؤلف) في حاجة اليها ليدخلها على فعل [غاظ] : فانه لا يذكر [غاظه] في مصنفه الا ويقول [أغاظه] وقد قال الجوهري نقلاً عن ابن السكيت [لا يقال أغاظه] يعني بالهمزة . على ان بعضهم أجازه . وبعد ان كتبت هذا رأيت صاحب [نشوار المحاضرة] يقول على لسان من يروي عنه خبراً ما نصه [وامتديت الى درجة يعقوب فركبت في سميريته الخ السميرية من سفائن الدجلة (ودرجة يعقوب) قرية او ضاحية من ضواحي بغداد وقوله [امتديت] اصله [امتددت] والظاهر ان معناه الذهاب والمضي الى تلك المحلة فيكون فعل [مد] و [امتدّ] في لهجة اناس ذلك الزمن بمعنى ذهب ومضى او بمعنى أغذ السير وأسرع ومهما يكن فليست بعربية فصيحة .

ص ٢٦٨ سطر ١٦ [وامر ابن طولون بالرؤوس ان تنصب على القسيّ ليراها الناس] القسيّ جمع قوس . ولم تجر العادة بأن ترفع رؤوس العصاة على الأقواس . بل هي لا ترى للناس اذا رفعت عليها . وانما العادة ان ترفع على القنا اي الرماح فيراها الناس للاعتبار بها . وهذا ما اراده ابن طولون . فالقسيّ اذن محرفة عن [القنى] جمع قناة . ويكون الناسخ اخطأ فكتب [القنا] [القنى] بالياء . ويحتمل وهو الأقرب ان يكون اصل [القسيّ] [القنيّ] اي بالياء المشددة وضم الكاف وكسر النون وهو جمع لقناة كما ان [القنا] جمع لها أيضاً

ص ٢٨٩ سطر ١٩ امرهم ان يجثوا الصنم من الأرض فوضعوا الفؤوس فيه فكسروه [حتى درس وعفا خياله وذُرّ ما بقي حياله في الصحراء] لعل صواب [حياله] [حثالته] يعني ان الأمير ذرّى في الصحراء ما بقي من حثالة الصنم بعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان كسروه عضواً عضواً . وحثالة الشيء فتاته وكسارته . اما تأويل معنى الكلام على ابقاء كلمة الحيال ففيه تكلف ظاهر

ص ٣٠٠ سطر ٣ [وعمل على شعراء الشام في حضرة الخليفة اي المعتمد اشعاراً كثيرة] صوابه [في نصرة الخليفة] لأن حضرة الخليفة يراد بها عاصمته بغداد . وكانت بغداد يومئذ مقراً للموفق اخي الخليفة وقد حجر عليه في سر من رأى . فكيف يتسنى لشعراء الشام ان ينشدوا شعراً في بغداد مدحاً للمعتمد وفيها الموفق [ولا قرار على زأر من الأسد]

ص ٣٠٠ سطر ١٧ [سلوا عليه سيوفاً كالغدر مُشرعةً] لعله في الاصل مُرهفةً لأن الاشراع للرماح لا للسيوف . ولو جاز ان يقال (مُشهرَةً) لكانت هي الصواب لكن لا يقال أشهر السيف .

ص ٣١٢ سطر ١٧ [فاعتراه بعد الهيضة قذفٌ فأعقبه قيءٌ كثنى] قوله فأعقبه الخ يوهم ان القيء غير القذف مع انه هو . فتكون [فأعقبه] مقحمة سهواً . وتعرب [قيء] بدلاً من [قذف] او تضاف الى قذف من قبيل الاضافة الى المفعول اذ تكون القذف حينئذ مصدراً بمعنى الرمي بالشيء والقائه .

ص ٣١٧ سطر ٣ [اقامه للناس في الميدان وأمر بتحريق سواده فحرق] الظاهر ان المراد بسواد القاضي [بكار] قباؤه الاسود الذي كان يلبسه القضاة والوزراء وهو ثوب تشريف او ثوب رسمي في عهد الدولة العباسية . فيكون الصواب [تخريق] بالخاء المعجمة وقد خرّقوا سواده عليه زيادةً في التنكيل به .

ص ٣١٧ سطر ١٥ [اوقع به واصطفاه جميع ما ملكه] معنى اصطفاه اختاره لنفسه والمقام لا يؤيد هذا المعنى وانما صوابه [استطعفني] اي اخذ جميع ماله وقريب منه قولهم [صادره]

ص ٣٢١ سطر ٦ وصف المؤلف اشتداد الغمّ على ابن طولون كلما اشتد عليه المرض حتى طمأنه طبيبه فطابت نفسه بالراحة والطمأنينة [وبملاطفة النساء له بالغمز مرةً وبالهدوء أخرى] : أما الملاطفة بالغمز فظاهرة وأما الملاطفة بالهدوء فلا معنى لها . فالهدوء اذن محرفة عن كلمة مثل [الهذر] أو [الهزل] والاولى اقرب من جهة حدوث التحريف والثانية انسب من جهة حسن المعنى : فان المغازلة انما يصلح معها المهازلة اما سمعت قول القطامي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[يهازل ربّاتِ البراقع بالضحى ويخرج من بابٍ ويدخل بابا]

ص ٣٥١ سطر ٢٠ [وخبزه المعروف في كل رغيف رطلان يسمى أبوالوفا والدراهم] قوله [والدراهم] أرى ان صوابه [كالدراهم] اي كما ان الدراهم الوافية يسمى احدها [الوافي] اشتقاقاً من مادة الوفاء بمعنى انه كامل تام لا ينقص عن المثقال — كذلك خبز صدقات احمد بن طولون يسمى كل رغيف منه [ابو الوفاء] لكون العادة او الرسم في وزنه ان يكون وافياً لا ينقص عن الرطلين المصريين اي كيلو تقريباً وهذا معنى الوفاء في اللغة يقال وفَى الشيء اذا تم وكثر فهو وافٍ

ص ٣٥٨ سطر ٦ [شهابٌ خبا وَقدُهُ وعارضُ غيثٍ أفل] الأفول إنما يستعمل في غياب النجم · وعارض الغيث هو السحاب المعترض في الأفق فقوله [افل] ربما كان محرفاً عن رحل اي انكشف ومضى ·

انتهى ما أمكننا تقويم أوده والرجوع به الى اصله من تحاريف هذا الكتاب · وقد رأينا فيه مواطن تصلح للتعليق عليها من الوجهتين اللغوية والاجتماعية الاسلامية لكنا خشينا ان يطول المقال أو يتسلسل · على ان ما كنا نحب ان نقوله لا يخفى على القارئ الفطن · ونكتفي عنه بما يلي :

ورد في الكتاب استعمال الفاظ أو تعابير كنا نظنها من مواليد العصور المتأخرة لا من مواليد القرن الرابع الهجري الذي عاش في أوله مؤلف الكتاب وفي آخره أو وسطه ناسخه : من ذلك ألفاظ [الوظيفة] و [الراتب] و [فتش على الشيء] بمعانيها المستعملة فيها اليوم · ومن ذلك قوله [شكره عليه الخاص والعام] وقوله [أكد عليه في مراعاته] اي الحّ في تنفيذ ما أمره به · ولا يخفى ان فعل [التأكيد] لغةً انما يستعمل في العهود والمواثيق والأيمان لا الأقوال والتواصي التي تقع في المستقبل ·

ومن الكلمات الأعجمية فعل [باس يبوس] الفارسي الأصل · بمعنى قبّل ولثم : فان المؤلف كرر استعمال هذه الكلمة ولم يخطر له ان يستعمل اختيها العربيتين [قبل ولثم] ·

ومن الكلمات اللاتينية كلمة [الإسقالة] الواردة في كلام أحمد بن طولون ص ١٢٥ سطر ٤ مذ قال [لمحته على الاسقالة وعلى كتفه الخ] ويعني بالاسقالة ما نريد اليوم منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعني الجذوع والأخشاب يسمّ بعضها الى بعض حول البناء الذي يراد بنيانه أو تجصيصه · ومن تلك الأخشاب ما يكون على هيئة السلم · [والاسقالة] ونلفظها اليوم [اصقالة] عرّبت من كلمة [scàla] اللاتينية ومعناها في هذه اللغة السلم · ومنها جاءت كلمة [escalier] الإفرنسية بمعنى السلم أيضاً ·

وكنا نظن ان كلمة [صقالة] دخلت لغتنا منذ عهد قريب واذا هي ترقص على ألسنتنا وبين الفاظ لغتنا منذ اكثر من الف سنة

هذا وفي بعض قصص الكتاب أمور يستبعد العقل وقوعها مما يؤيد تهمة بعضهم لمؤلفه [البلوي] بالكذب على رسول الله ﷺ فأجدر بأن يكذب على احمد بن طولون · وتحقيق أمر المؤلف من هذه الجهة مفصل أحسن تفصيل في مقدمة الكتاب التي كتبها الأستاذ رئيس المجمع فلتراجع ·

المفرجي